الفصل 6

(بنـزو) يحوم دائماً حول المورثات الموجودة بالكروموزوم للدخول إليها طبعاً، فهو يعـرف نقـاط الضـعف ونقـاط القـوة لهـذا النظام، من جهـة هناك مـراقـبـون أكفـاء وميكانيكيون مهرة، ومن جهـة أخرى هناك 60 مليون خليـة تولد يوميـاً، لكن هناك العديد من الأخطاء التي ترتكب داخل هذه المورثات؛ لذا يجب استغلالها.

لكن حجمـه وكتلته تعيقـان دخوله، فهو لا يستطيع الدخول بالكامل، بالرغم من ذلك فإنه يستطيع استغـلال فجوات وإحداث أضرار كافية لإعاقة عمل هذا النظام، لكن المراقبين يسـهرون أيضـاً على عـدم حصول أي خلل في المورثات: أي خلل أو أي تحرك لأي من الجينات.. إذا اكتشفوا أي خلل يقومون بطلب الميكانيكيين لإصـلاحه والتـخلص من أي جـسم غـريب.. لاحظ (بنـزو) أن أي خليـة مـخطئـة تموت إذا لم يتمكن الميكانيكيون من إصـلاحها، وهكذا يتبـخر حلم (بنـزو) بموتها. يا له من عـالم مُعـاد! بعد أن تمكن (بنـزو) من الالتفـاف حـول إحدى الجـينات، فـرفـضت الخليـة الاستجـابـة لأوامـره، فـلاحظ أن هناك بروتوينات تحـاول الدفـاع عن المورثات، لكنهـا تدهورت بسبب أنزيمـات مفاجئة، في هذه اللحظة رأى النواة تنشطر والميتركندريات تتخلص من المادة التي تحتويها والسيتوبلازما تنشطر أيضاً والغشـاء الخارجي يتورم والمورثات (DNA) تنشطر أيضاً؛ لتشكل أجساماً متساوية ومنتظمة.

في هذه الأثناء تخرج الخليـة المدمـرة إلى الخـارج؛ لتسـمح للخـلايا المسؤولة عن النفايات بالقيـام بمهماتها. حرّية الخـلايا كما نرى مقيدة مثل السائق الذي يتعلم في

obeikandl.com

سيارة قيادة بجهاز تحكم مزودج. لاحظ بنـزو أن مهمته صعبة جداً، ولكي يتمكن من إنجاز مهمته يجب عليه أن يواصل هجومه؛ لكي يحدث أضراراً كثيرة، وعليه أن يتابع تقدمه عبر الطريق المزدوج عشرين مرة في اليوم... وهذا هو ما يعشقه بنـزو.

في كل طلعة أي عند ابتلاع (أنت) للدخان يكتشف (بنـزو) جينات تقلل من إنتاج الخلايا: هذه الجينات تسمى الجينات المضادّة لإنتاج الخلايا أو الجينات التي تضخ الأورام. لاحظ وجود (15) خلية، واحدة منها هي الخلية التي يحتاجها من النوع بي 53.

في 20 نوفمبر 1993م استطاع ودون تعب أن يهاجمها ويحدث أضراراً بها، ومهاجمة جزء من المورثات يسمى الحبل 157.

أصبح الجين بي 53 جيناً مضاداً يستطيع تحويل خلية سليمة إلى خلية مسرطنة. تلذذ (بنـزو) بهذا النجاح الأول، لقد استطاع أن يغير بنية الجين بي 53، استطاع أن يتمكن من (أنت) ويضع أول خلية مسرطنة داخل جسمه، إن عمله هذا يشبه المركبة الفضائية التي حطت أول مرة على القمر.

بعد أيام استطاع هذا الجين المعدل أن يفلت من قبضة المراقبين.

كان الجين بي 53 حتى هذه اللحظة متخصصاً في ضخ الأورام، أما الآن فبإمكانه إنتاج بروتين بي 53 ومراقبة انشطار الخلايا وإعطاء الأوامر بتدمير الخلايا المتضررة أو الخلايا التي لا تستطيع أداء وظائفها، لقد أصبح بي 53 عبارة عن مراقب يسهر على نزاهة الخلايا وعلى القيام بالصيانة وعلى عمليات الإمداد بالتغذية وانتحار الخلايا غير الطبيعية، لكن 53 عجز عن إنجاز مهمته.

كان بنـزو يريد إنتاجاً مستمراً للخلايا السرطانية حيث إن بي 53 قد دُمِّر، وفي هذه المرحلة الخلايا المتضررة لا تزال غير مدمرة، ولا تزال بحاجة إلى عوامل النمو؛ لكي تستطيع التكاثر، بنـزو غير مسرور بهذه النتيجة؛ لذا بدأ يبحث عن جين مكمل يسمح للخلية بالنمو دون عوامل نمو هذا الجين اسمه سي ميك، أما هدف بنـزو الثاني، فهو: سي ميك + بي 53 هذه هي المعادلة الرابحة.

في 10 فبراير 1994م استطاع بنزو تدمير سي ميك، وبهذه الطريقة استطاع أن يجعل خلية (صمّاء) أو بعبارة أخرى ليس لها أي إحساس بأي رسالة تمنع الانشطار، بما أن أي خلية طبيعية تموت بعد أن تنشطر 50 مرة، فأي خلية مذنبة تخلد ولا تموت؛ لأن نواتها أصيبت بالجنون أو أصيبت بأضرار جسيمة.

لقد حصل تغيير في الخلية، استطاع (بنزو) أن يحدث تذبذباً داخل الجين بي 53، نتج عن ذلك إنتاج بروتين جديد لتعويض البروتين الخاص بعملية الانشطار، اختلط الزيت بالخل كما يقولون: بدأت هذه الخلية تحرر جزيئات متخصصة في إحداث الاضطرابات كما يريد (بنزو)، سوف تحدث خللاً في الخلايا المجاورة.

قامت بنَشْر مواد قاتلة لتدمير خلايا نظام الدفاع الذاتي القريبة منها، هكذا تم إخضاع خلية مطيعة، مجتهدة ومنظمة ذات حياة محدودة وتحويلها إلى خلية خبيثة بعد إحداث خللين داخل الجينات: الخلل الأول هو تحويل جين من جين عادي إلى جين مسرطن، والخلل الثاني هو إخفاء جين متخصص في ضخ الأورام.

أصبح التحكم في عملية التكاثر مفقوداً، وكذلك التحكم في الموت المنظم للخلايا، لقد أصبحت الخلية الطيبة مذنبة منذ الهجوم الأول، وصارت مسرطنة خبيثة، كان بنزو في منتهى السعادة؛ لأنه نجح في المرحلة الأولى من مهمته. هي البداية فقط وليست النهاية، هي بداية المعركة فقط.

ما تم إنجازه خلال ستة أشهر كان يتطلب على الأقل خمس أو عشر أو عشرين سنة، كان (أنت) يشعر بالخطر ويعرفه جيداً، لكنه بقي يجوب الطرق؛ مشياً على الأقدام، عشرين مرة في اليوم، ربما سيضع في يوم من الأيام حجاباً على عينيه؛ ليثير اهتمامنا أكثر ويزيد من تشويقنا.

obeikandl.com

الفصل 7

سنة 1995م بلغ (أنت) السادسة عشرة من العمر، قابل بالمصادفة فلورانس تلك الفتاة الجميلة التي تعرف عليها في أثناء حفل ديني وكان عمره إحدى عشرة سنة، فلورانس تبلغ من العمر الآن تسع عشرة سنة، رجع الاثنان إلى الوراء، وتذكرا تلك القبلة الخفية التي تبادلاها في أثناء ذلك الحفل، ضحك الاثنان من براءتهما آنذاك، كان شيئاً ما يجذب أحدهما نحو الآخر، فهي معجبة بطبعه المغامر واندفاعه وحسّه العميق وطبعه الميّال إلى التمرد ورفضه للروتين؛ فهو لا يتوقف عن البحث عن كل ما هو جديد ويرتمي بعفوية في أحضان المجهول (وهي كذلك) وحتى سلوكه لا يتوافق مع الآخرين.

بالرغم من إعجابها الشديد به، فهي لا تحب إدمانه التّدخين خاصة في السنتين الأخيرتين، فهي لا ترغب ذلك أبداً ولا تطيق رائحة فمه ولا تحب لون أصابعه ولا رائحة ملابسه ولا ذبول شعره، كان (أنت) كما يسمونه يمتنع عن التدخين عند مواجهتها، لا خوفاً منها بل احتراماً لها، بما أنها عرفت بطريقة غير مباشرة أنه يدخن، فهي تلومه أيضاً بطريقة غير مباشرة وتوجه له الرسائل الآتية:

- أتعرف كنت أود أن أعلم ذلك منك شخصياً، ألا تثق بي؟

ألا تجيد القراءة؟ ألا تقرأ ما كتب على علب السّجائر؟

(مضر جداً بالصحة).

obeikandl.com

هل افتقدت إلى حنان أمك في صغرك؟ إن ذلك هو أحد أسباب التّدخين، إذا كان الأمر كذلك عليك بتناول مصاصة، فلا خطر في ذلك.

وفيما بعد وبعد عدة تحريات قالت له فلورانس باستهزاء: إن الأب فرويد يقول: إن التّدخين يذكر صاحبه بلذة الرضعة الأولى، فالفم يدخن و(أنت) تبتلع الدخان، فالسيجارة هي ثدي أمه والدخان هو حليبها.

تواجهه فلورانس من جديد، وتقول له: إذا كان الأمر كذلك لماذا لا تجرب مصاصة كما قلت لك؟ ألا تتصور المهزلة؟ فالمهزلة لا تقتل، أتعرف أن سغموند توفي بسبب التّدخين؟

تركت لك مفاجأة أخرى من فرويد أيضاً، فهو يتكلم عن السيجارة في مرحلتها التمهيدية؛ فالمدخّن يحتاج دائماً إلى علبة السّجائر مثله مثل الصبي الذي يحتاج إلى دميته أو دبه الصغير، الذي كان يحس بدفئه عند لمسه، فهو يتذوقه ويشعر به، هل تشعر في اللاشعور أن السيجارة تولد عندك الأحاسيس نفسها؟ هل السيجارة أصبحت بالنسبة لك مثل الدّرع الذي يحميك من انفعالاتك وينظم قلقك؟

وقالت له فلورانس مرة:

- إني لا أريدك أن تموت.

وقالت له مرة أخرى في إحدى رسائلها:

- أقتلك.. فالرسالة أفضل من رائحة طفّايتك: حتى ولو أخفيتها عني.

كانت ملاحظات فلورانس عكس ملاحظات أمه تقع عليه وقع الصاعقة وتمسه في صميم قلبه، فكانت تؤثر فيه وتزيده يوماً بعد يوم تعلقاً واحتراماً لصديقته؛ فهو يرى في فلورانس الزوجة وفي السيجارة العشيقة.

بالرغم من معرفته لمضار السّجائر فحصَّته منها تزداد يوماً بعد آخر حتى بلغت الأربع عشرة سيجارة في اليوم، فهو يرى أن منافعها كثيرة بالرغم من مضرتها، فهي

openkanal.com

أمين سره الذي لا يفارقه، فهي تصغي إليه باستمرار ولا تعاكسه أبدا كما تساعده على تجاوز محنه أيام الامتحانات مثلاً، هل يمكن لغير المدخّن السهر حتى الثانية ليلاً واعياً منتبهاً؟ فالسيجارة تسمح لصاحبها بمفرده أو مع جماعة بالتلذذ، وهو ينتظر قدوم الحافلة، وآخرون يدعون أن السّجائر تعجل من قدوم الحافلة. ومن يدخن لا يتقبل من يصفه بعبيد السيجارة.

(أنت) يجد فيها متعة من الناحية الاجتماعية؛ لأنها تسهل التعارف والتعرف على الآخرين وخاصة المدخّنين، فهي تساعد على التعبير عن الذات وتزيد من الإحساس بالأمن، وبعض الأحيان يصفها بعوامة الإنقاذ، لهذا فلا يخرج إلا وهي في جيبه، فهي التي تعبر عن أحاسيسه في كل المناسبات، فالتّدخين علَّمه من قبل ألا يجيب عن أي سؤال قبل أن يفكر ويبتلع أحاسيسه وانفعالاته.

منذ أكثر من سنة تطورت العلاقة العاطفية بين (أنت) وفلورانس من حسن إلى أحسن وأصبحت جدية أكثر فأكثر.

وأصبح (أنت) في وضع مزدوج؛ من جهة فهو لا يعرف ما معنى الحب؛ لأنه لازال يعتقد أن ما يشعر به نحو فلورانس هو نوع من الحب، ومن جهة أخرى فله معشوقته السيجارة.

فهو يشعر أنه كلما قرب من فلورانس شعر أنه يتحتم عليه الابتعاد عن معشوقته، ومن الصعب عليه الاحتفاظ بالزوجة والمعشوقة، ومن أجل حلّ هذا اللغز الصعب قام (أنت) بحرق أربع سجائر الواحدة تلو الأخرى دون فائدة، في يناير 1996م بلغ (أنت) سبعة عشر عاماً، ومنذ سنتين فقط أصبح يتلذذ بالسّجائر أكثر فأكثر، فهو يعي ماذا يفعل، والتطور الذي حصل له، فهو يعلم أنه سوف يصبح رجلاً بالسّجائر أو بدونها، لقد أصبحت علاقته مع والديه متوترة أكثر فأكثر وغير منسجمة أيضاً، لقد أصبح كثير الإجابة وكثير الانفعال وكثير التحدي لوالديه اللذين لم يسلما حتى من شتمه لهما. يفعل كل هذا للتعبير عن استقلاليته والتمرد عليهما

بالرغم من أنه لا يزال يدخن في الخفاء، فهو يبحث عن التّحرّر دون أن يعرض أمنه للخطر، لقد أصبح غير واضح حتى مع نفسه، حيث يعبر عن ذلك بأسلوبه الخاص وبتحدياته للآخرين، فوقاحته مع أمه تزداد أكثر فأكثر، حتى أصبحت مثل الجدار الصامد أمام الأعداء الأشداء في الظاهر أو الباطن على حد سواء، لقد تطور الوضع إلى أن أصبح لا يستطيع التعبير عن أحاسيسه وانفعالاته، بالرغم من أنه يعد نفسه القائد والمسيِّر، فغالباً ما يلجأ (أنت) إلى الشتم لتجنّب العنف المفرط؛ فهذا التصرف جنبه الكثير من الصراعات في المدرسة، من ناحية أخرى كان يلجأ أحياناً إلى أسلوب الانطواء والصمت لعدة أيام.

منذ أكثر من سنة ازداد استهلاكه للسجائر أكثر فأكثر، وكان يتعمد الكذب لتبرير ذلك أمام أهله.

فعند عودته إلى البيت يبادر بتغيير ملابسه لإخفاء رائحة السّجائر، كما يستعمل عطراً خاصاً للتمويه ويتناول الحلوى والعلك ويستخدم بخاخاً خاصاً أو يأكل حبات من البن لإخفاء رائحة السّجائر المنبعثة من فمه، والتي من الصعب التخلص منها بأحسن معاجين الأسنان، أما غرفته فكان يستعمل كل أنواع البخور لتعطيرها، ففي كثير من الأحيان كان يبادر بقلي البطاطس للتخلص من رائحة السّجائر بالبيت، لكن كل شيء له نهايته، لقد افتضح أمره عندما أحرق بنطلونه، وهو يدخن ولم يستطع إخفاء ذلك.

منذ سنتين وأمه متوترة وقلقة بسبب التدخين وعدم امتناعه عن ذلك؛ فكأن السّجائر هي شغلها الشاغل ومن أولوياتها، فابنها لا يتجاوب معها، منذ سنتين، وهذا هو همّها الأكبر، فالآن أصبح لديها الدليل القاطع لإدمان ابنها التّدخين.

فاحتراق البنطلون هو أكبر شاهد على ذلك؛ فلم تكن تتصور أبداً أن ابنها البكر مدمن سجائر، فهي تعلم أنها أخفقت في التعامل مع ابنها الذي كان يخدعها، ويكذب عليها بالرغم من أنها كانت تعامله بلطف؛ لكي يعترف لها بالحقيقة.

كانت الأم المسكينة تحثه على التمسك بالعائلة وأخلاقها في الحاضر والمستقبل، كما توصيه بالتمسك بمن يحبه والابتعاد عن معشوقته الخادعة كانت تقول له: انظر إلى ابن عمك سدريك، لقد أدرك خطورة التّدخين، فتوقف عن ذلك، ألا تفهم أنه حان الوقت لتقليده؟

(أنت) يدرك أنه يتخبط في مشكلات كثيرة بسبب مضايقة أمه له وكذلك صديقته لمطالبته بالكف عن التّدخين، فقد صمد حتى هذه اللحظة ولا زال صامداً وسوف يستمر في الصمود لإثبات شخصيته واستقلاليته.

كثيراً ما يقول لأمه: اتركيني أعيش حياتي كما أريد، أيتها المولعة بالأدب، اهتمي بألبيركامو (ودعيني وشأني) ليس من العيب أن أبحث عن سعادتي.

لكن الأم لا تأخذ كلامه بالجدية اللازمة لأن (غالليلي) يقول: لا يمكن أن نعلِّم غيرنا أي شيء، ولا يمكن أن نساعده في اكتشاف نفسه، كان بإمكانها أن تناقشه نقاشاً مفيداً.

أما الأب فالسّجائر زادت من سعاله وأصبح يعرج أكثر من ذي قبل، لقد أصيب بمرض انتفاخ الرئة، لكنه أخفى ذلك وادعى أنه مصاب بالربو وهو مرض مقبول من المجتمع، فهو أيضاً لم يساعد ولده بما فيه كفاية للامتناع عن التّدخين والابتعاد عن الزنا، فكان الباب مغلقاً من هذه الناحية، لكن باب المكتبة لا يصد في وجههما للجوء إليه والتّدخين خلسة، ذلك هو العامل المشترك بينهما.

كان (أنت) يلجأ إلى المكتبة لتجنب تفاقم المشكلات؛ لأن ذلك ليس في صالحه، فقد قبل هذا المصير وهذا المنفى، بالرغم من أنه يتذكر أنه كان لا يطيق رائحة الدخان عندما كان في التاسعة من عمره، كان آنذاك يحب أخته البالغة من العمر أربعة عشر عاماً وأخته البالغة من العمر ثمانية أعوام، كانت تنشب بينهم صراعات سببها الغيرة من تعاطف الوالدين مع هذا أو ذاك، مهما كانت حدة الصراعات فقد كانت تخلو من العنف وسوء الأخلاق.

في أحد نهايات الأسبوع في مارس ارتفع سعر السّجائر، فقرر (أنت) أن يلف السّجائر بنفسه كما علمه أصدقاؤه بالمدرسة، فبعضهم اقتنى أجهزة خاصة لصنع السّجائر بعد أن تلقوا نصائح من الآباء أو الأجداد، وآخرون تفننوا في صنعها على أيديهم، فكانت ذات أشكال وأنواع بعضها بفلتر وأخرى دون، مهما كان شكلها، فالكل يدخن على هواه، أحسن من عدم التّدخين.

لقد أصبح كل مدخن عرضة للخطر أكثر فأكثر؛ لأن السّجائر الملفوفة باليد تحتوي على مادة القطران أكثر بثلاثه أضعاف، لقد قرر (أنت) ان يلف السّجائر بيده في صالون البيت تحدياً لأمه، لم يفاجأ عندما طلبت منه أمه مغادرة المجلس والذهاب إلى المكتبة لإنجاز هذا العمل القذر، غادر المجلس، وهو فخور بهذا التحدي.

أفرغ علبة التبغ الأصفر فوق الطاولة وتخلص من بعض القشات الخشنة. كانت رائحة التبع تشبه رائحة التين الناشف، وقام بوضع الورق المخصص للف السّجائر فوق الطاولة، ثم أخذ يحشوها بالتبع، ثم يلفها بعد أن يبلّلها بلسانه، بعد ذلك يقوم بقص ما هو زائد بالمقص، وبعد أن صنع 38 سيجارة قام بتجميع النفايات فوق الطاولة، لم يحصل له الشرف في ملاحظة ألوان الفلاتر كالعادة؛ لأنها كانت دون فلتر بالطبع، كان أثر تدخين هذه السّجائر فورياً؛ لأنه بعد مدة وجيزة دخل إلى الحمام للاستفراغ، فسمعته أمه؛ لانها في تلك اللحظة بالذات أرادت دخول الحمام فسمعت الواقعة فتراجعت، رجع الأب متأخراً تلك الليلة؛ لذا تصرفّت الأم بمفردها تجاه الولد الطائش.

فهي تعرف بموجب خبرتها أن التصرف العفوي لا يؤدي إلى أي نتيجة؛ لذا قامت بغلق الباب للتفكير بمفردها، فهي متأكدة أن ولدها يتعمد التحدي. ماذا يعني هذا التحدي؟ هل هي مطالبة بالاستماع إليه؟ أو مجرد اكتشاف للطرف الآخر أو الحاجة إلى العطف أو مجرد تخدير للأحاسيس؟

والسؤال المطروح هو: هل هذه السّجائر المصنعة يدوياً تحتوي فقط على التبغ؟ كانت الأم ترغب في فتح الباب على ابنها وفتح قلبها له، لكن رغبتها شيء، والواقع شيء آخر، لأن ابنها الذي أنهكته السّجائر قال لها إنه: (متعب شيئاً ما) وسوف يذهب لينام، كانت الساعة الرابعة بعد الظهر، كان (أنت) يرتعش ويستفرغ في آن واحد، حتى أصبح على وشك الوقوع في سكتة قلبية.

صار (أنت) لا يعي حالته السيئة جداً حتى أصبح من المستحيل عليه الخلود إلى النوم الذي هو بأمس الحاجة إليه.

بمجرد انخفاض مستوى النيكوتين في دمه يقوم (أنت) بمراجعة نفسه بخصوص التدخين، ففي حصة الفلسفة تناول سيجارة، وهو يكتب في موضوع عنوانه: (أعرض نفسي إذن أنا موجود) من كلمات (آلان فنكلكروت) قام أنت بمناقشة هذه المقولة بامتياز، مستشهداً بأمثلة من عنده، متحدياً بذلك أستاذه المدخّن، وغير الموافق على خطورة التبغ.

وفي الليلة نفسها قام (أنت) بتجربة لإثبات صحة المقولة التي كتب عنها، قام يتحدى خطراً ما لإثبات وجوده، فالتحدي أصلاً موجه ضد أمه، فالسّجائر هي تحدٍ لأمه وتحدٍ للموت في الوقت نفسه.

فهو يلعب بالنار كما يقولون، وفي لحظة ما تساءل ربما أنه أصبح يجد اللذة في إيذاء الآخرين، في آلام أمه بالذات.

بالرغم من خطورة الدخان على صحة الإنسان فـ (أنت) يجد فيه لذة كبيرة، إنه يشعر بذلك جسدياً، فتذوقه متعة، ومروره بالبلعوم متعة، بالرغم من أنه يتسبب في انتفاض قلبه، وبعد هذه المتعة العابرة خلد إلى النوم الساعة الثالثة صباحاً.

إن الكمية الزائدة من السّجائر التي تناولها اليوم جعلته يفكر لأول مرة في التوقف عن التّدخين، للتأكد مما قاله له صديقه فيليب إنه يستطيع التوقف في أي لحظة.

كانت التجربة صعبة جداً لم يتعكر مزاجه من قبل، مثلما تعكّر هذه المرة، لقد أصبح عصبياً أكثر من اللازم، كل جسمه يرتعش من شدة توتره، حتى أصبح معادياً للجميع، لقد فقد حتى توازنه، كان يتعذب في الفصل منتظراً الجرس؛ ليخلصه من عذابه، وقد حدث ذلك فعلاً في الساعة الثانية عشرة ظهراً، فقام صديق رحيم بمواساته، بعد هذه المحاولة الفاشلة للامتناع عن التّدخين والعذاب الذي ترتب عنه قرر (أنت) أنه لا يعيد هذه التجربة أبداً؛ لأن التّدخين له أثر إيجابي على أحاسيسه؛ لذا يجب أن يستمر في التّدخين، وفي المساء رجع يفكر في ذلك من جديد؛ لأن الشك راوده في النهار، هل كذب عليه صديقه فيليب؟ أو هل تحتوي كل علبة سجائر على أغلال خفية محكمة وفاعلة؟ هل فعلاً يمكنه التوقف عن التّدخين كما قيل له؟ فهو يرفض الفكرة أصلاً وغير مصدق أن صديقه أوقعه في فخ محكم، يا له من غبي! إذا لم يستطع التوقف اليوم فالسبب واضح وبسيط، لقد أصبح مدمناً من كثرة التّدخين إضافة إلى ذلك فالتوقيت غير مناسب؛ لأن الاختبارات النهائية ستبدأ الأسبوع المقبل، تأكد من أن تجربته خاسرة؛ لذا يجب نسيانها، وهكذا كان.

لا يزال يشك فيما قاله له فيليب؛ لذا قرر إعادة التجربة في العطلة القادمة بطريقة ذكية. فقام بإعداد خطة لطمأنة نفسه، والخطة تتلخص في الآتي، أولاً: عدم تدخين السيجارة حتى نهايتها، ثانياً: عدم تدخين السّجائر المصنوعة باليد والرجوع إلى السّجائر التقليدية؛ لأنها تحتوي على فلتر يخفف من قوة مادة القطران، فهو يريد تخفيض الكمية الحالية، وهي أربعون سيجارة في اليوم إلى عشر سجائر، المرحلة الثانية يعوّض كل ثلاث من السجائر بسيجارة واحدة، ثم يعوّض السيجارة بمصة أو مصتين فقط ثم يكف نهائياً عن التّدخين، كل هذا واضح، لكن لماذا لم يوضح له ذلك صديقه فيليب ولا صديقه موريس؟

بدأ (أنت) تجربته الجديدة؛ ليرى مفعولها؛ لأن قائداً مثله يجب أن يكون مثل راعي البقر الذي يعيش تجاربه عبر الطبيعة، يجب أن يكون متطوراً مثل جيمس بوند، ومركزاً مثل ميغري رجل المخابرات الشهير، وقوي البنية مثل سيلفستر

ستالون، ومتفوقاً مثل فيلنوف وشوماخر؛ لكي يتفوق على وحدته وتسلط أمه التي لم تحاول فهمه، فحتى أبوه تخلى عنه، فأمه لم تحاول أبداً أن تقنعه بعدم التّدخين بصفة إيجابية، لم تحاول أبداً أن تثبت له أن إصبعه السادس لا يزيد شيئاً إلى شخصيته، فهو لا يرى في ضغط أمه عليه إلا نوعاً من التشجيع، أما أبوه فكان يخفي أسرار التّدخين، ولا يبوح بها إلى أحد، فالمشكلات الصحية التي يتبخط فيها والده لم تزده جرأة لمساعدة غيره من التخلص من آفة التّدخين، فالقاسم المشترك بينه وبين أبيه هو شعره الذابل ذو الرائحة الكريهة، بالإضافة إلى رائحة فمه التي تشبه رائحة الطفاية، ناهيك عن سوء طالعه، نظراً لحاله هذه وبغض النظر عن تدخلات أمه، فهو يدخن أكثر من اللازم، ووضعه سيئ ويدعو إلى الشفقة خاصة وأنه لا يحتاج إلى أكثر من أربع سجائر في اليوم، اثنتان بعد الغداء واثنتان في السهرة، كان (أنت) متأكداً من تحقيق برنامجه التنازلي مثل ما كان متأكداً من الأسباب التي دعته إلى التّدخين وهو صغير.

لقد اتخذ قراره ولا رجعة فيه، بعد أن تناول سيجارتين متتاليتين قرر الإمعان في التفكير في مشكلة مهمة للغاية، ألا وهي اختباراته، في صباح الغد استلم رسالة، رسالة غريبة جداً.

obeikandl.com

الفصل 8

استلم (أنت) هذه الرسالة في 27 مايو 1996م، رسالة غريبة كما قلنا؛ لأنها لا تحتوي على شيء يذكر فتحها، فكان بداخلها ورقة مطوية على أربع طويات، فتحها أيضاً فوجد بها حروفاً مقتطعة من الجرائد تكفي لكتابة اسمه فقط، في أسفل الصفحة كتب (يتبع).

خلال لحظات حاول التعرف على صاحب هذه المزحة أو مرسل هذه الرسالة الذي أنفق قيمة طابع بريد على هذه المهزلة. ليس من السهل التعرف عليه؛ لذا قرر أن ينسى هذا العارض وألا يتأثر به أكثر من ثانية فقام بلف الرسالة بيده مثل الكرة ورمى بها في القمامة، حتى لا يفكر فيها أبداً.

كان عمره 17 عاماً، في هذه السنة سيرافق أهله لآخر مرة في العطلة الصيفية، لقد قرر أنه عندما يبلغ سن الرشد سوف يشتغل شهراً في السنة؛ لينفق راتبه على عطلته الصيفية، ليس بمفرده بالطبع لقد وافق أهله على طلبه هذا؛ تلبية لرغبته في الاستقلالية في نهاية المراهقة.

في شهر يونيو تم ترقية والده إلى مدير تجاري، فهذا دليل على أن العطلة هذه السنة ستكون فاخرة، في اليوم الثاني من يوليو 1996م استلم (أنت) رسالة كان في انتظارها، فكانت بشرى سارة على أن العطلة سوف تكون جميلة وكانت جميلة بالفعل، فالعائلة بالكامل استمتعت باكتشاف الحيوانات والنباتات البرية الجميلة، بالإضافة إلى مفاجآت سارة ورائعة.

obeikandl.com

زادت معاناة الوالد هذه السنة، فأصبح يمشي بصعوبة بالرغم من أنه لا يريد إظهار ذلك، عندما يلومه أحد على ذلك يقول مازحاً: (سوف أقوم بمراجعة الطبيب عند العودة). خلال هذه النزهات البرية كان يتألم ويكاد يفقد رئته أحياناً، وكان يقول خفية لولده: شكراً على المساعدة، هكذا يجب أن تتصرف ولا تشكو أمرك للآخرين، كان الأب يتألم سراً؛ حتى يبدو في نظرهم كبيراً وأهلاً لمنصب المدير التجاري.

لعب الحظ دوراً مهماً في تقريب فلورانس من صديقها (أنت) فهي توجد هذه الأيام في المنطقة نفسها على رأس مجموعة من الشباب للتفسّح أيضاً، فكان من الطبيعي أن تتعرف بهذه المناسبة على كل العائلة، لقد استطاعت أن تتغلب على كل الصعوبات التي واجهتها من طرف الأهل.. أصبحت تتردد عليهم أكثر فأكثر، بالرغم من ارتباطات العائلة، لم يفكر أحد في إظهار أي اعتراض على وجودها باستمرار بينهم، فالأم ترى فيها الزوجة المثالية لابنها، فهي لطيفة المجلس ومتحمسة للغاية وتمتاز بالصحة والحيوية، إضافة إلى كل هذا فهي لا تدخن، فالكل لاحظ أن (أنت) يحاول تخفيض حصته من السّجائر كلما وجدت فلورانس بالعائلة، يختفي من حين إلى آخر مثل أبيه، ليدخن سيجارة في المكتبة.

في أحد الأيام ذهبت فلورانس بصحبة الأم لصيد السمك في النهر للتعرف أكثر فأكثر على بعضهما، فكان الامتحان جيداً، لقد تعرفت الأم على العائلة وعلى تربيتها ودراستها ووظيفتها في المستقبل، وكيف تقضي أوقات فراغها، وقيمها وأخلاقها ومشروعاتها المستقبلية.

لقد اجتازت فلورانس الاختبار بامتياز، وجدت الأم في فلورانس جوهرة يمكن أن تروّض في المستقبل العنف الزائد للشاب المدمن على التّدخين، ذلك الشاب الذي يتخلص شيئاً فشيئاً من سيطرة والديه عليه، لازال المشوار طويلاً؛ لأن الابن يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً.

لقد تبادلت الأم وفلورانس الأحاديث والآراء وكل المعلومات حول التّدخين، وزادهم هذا الموضوع قرباً من بعضهما؛ لأن الموضوع يمسهما واستغربا، من تصرف الرجلين بخصوص التبغ وكيف سيطرت السّجائر على حياتهما وعلى كيانهما؟ كيف لا يشعر الرجلان بمسؤوليتهما في تدمير جسدهما وتبذير مالهما من أجل ذلك؟ كيف لا يفكران أنهما ضحية لمصانع التبغ؟ استنتجت فلورانس من تصرفهما أنهما لا يشعران بالضعف كي ينال التبغ منهما، كما لا يشعران بالقوة حياله؛ لأن بنيتهما القوية هي التي سمحت لهما بالصمود حتى هذه اللحظة أمام هذه الكمية الهائلة من السموم، لا العائلة ولا المجتمع استطاع أن يؤثر فيهما، استنتجت الأم وفلورانس أن التدخين لا يؤثر على صحة الزوج والابن فقط، بل يؤثر فيهما أيضاً، وأضافت الأم، قائلة بكل خجل: إن زوجها لا يستطيع دراسة أي ملف، دون أن يتناول كمية هائلة من السّجائر؛ لأن كل تحركاته بالشركة مرتبطة بهذه الكمية الضرورية من السّجائر.

فالزوج ممثل بارع، فتارة يبدو قوياً يتمتع بنشاط كبير وتارة متطور جداً وأخرى غائب عن الوجود تماماً.. ردت عليها فلورانس بذكاء:

- هذا مثل السينما تماماً.

- ردت الأم: لم أقم بالمقارنة بعد، ولكن يبدو لي أن رأيك صائب وأنك قريبة من الواقع.

- قالت فلورانس من جديد: لقد قمت مرة باستفزازه، فقلت له وكتبت له أنه يدخن لتعويض أصبعه الذي كان يمصه وهو صغير، ولكنه لم يكترث ولم يُصدم، فهذا هو رأي علم النفس، فلم أفلح أيضاً.

- لما وصفت له السيجارة بالمصاصة التي افتقدها وهو صغير والتي كانت تلبي بعض أحاسيسه المرغوبة لم يكترث من ذلك أبدا.

- أجابت الأم: أعتقد أنهما ينفردان ويختفيان خلف جدار الدخان للهروب إلى الأمام يا لهما من غبيين!

- قالت فلورانس من جديد:

- كيف لا يستطيعان العيش دون هذه الدناءة، لماذا هما بالذات؟ فنحن صامدون، قالت هذا، وهي تنتفض من الحسرة، على كل حال لقد حذرت (أنت) أنني لا أتزوجه يوماً والسيجارة بين أصابعه.

- ردت الأم بفضول وحيرة: (وبعد).

- بصراحة وبكل نزاهة أعترف أنه لم يتقبل الرسالة مئة بالمئة.

- كم من الوقت يضيع في التّدخين؟ ساعتان في اليوم على الأقل. كان بالإمكان قضاؤها في المناقشة أو مزاولة الرياضة، لعلمك إن إيمي توقف عن لعب الرجبي لما تفرغ للسجائر، التي حرمته من مزاولة أي رياضة.

- قالت فلورانس:

- في أثناء مزاولة الرياضة بالمدرسة يضيع وقته في التعرف على المدخّنين أمثاله.

- ماذا يمكننا أن نفعل؟ لكن نحن الاثنان يمكن أن نفعل شيئاً ما!.

- سوف أستمر في تحرياتي، يا ليتنا نستطيع تخليصهما الاثنين من السّجائر.

- إنك تحلمين يا فلورانس، لقد حاولت منذ عشرين سنة مع زوجي والنتيجة صفر، والآن لقد أصبح يسعل ويشخر ويتألم من النقرس بعد أن داهمه الشيب، فهو يعرف الأسباب.. ولكنه لازال يسير في الطريق نفسها، لقد توفي أبوه وأمه في حادث سيارة بسبب نزيف مخ والده بسبب التّدخين.

لقد صار جده من جهة أمه كفيفاً بسبب التّدخين أيضاً، أما جده من أبيه فقد مات بسرطان البلعوم بسبب السّجائر أيضاً، توفي بعد أزمة بطالة كبيرة وبعد أن فقد صوته وتغيّر منظر وجهه، كل هذا بسبب التّدخين، بالرغم من كل هذا، وبالرغم من كل محاولاتي لم يقتنع بالكف عن التّدخين، التّدخين فعلاً لعنة أنا خائفة عليه وعلى إيمي.

- أنا لا أشك في كل هذا، لكن اسمحي لي بتجربة جديدة.

- إذا كانت لك فكرة جديدة، فنفذيها..

انتهت المحادثة بوصول صيادين مدخنين.

استمرت العطلة بصفة طيبة وشيقة، ومشاركة فلورانس في هذه العطلة أسهم في إنعاشها.

أصبحت السّجائر جزءاً الا يتجزء من شخصية (أنت)، لقد نسي البرنامج الذي أعده للإقلاع عن التّدخين، لكنه كان لا يحسد من لا يدخن؛ لأنه لا يعرف لذة أول سيجارة، تلك السيجارة التي توقظك من فراشك بالنشاط الكافي لمواجهة الأعمال اليومية. يالهم من أغبياء يا لهن من غبيات! عندما ينفرد بصديقته السيجارة تحمية وتؤنسه، فهي تحيط به في كل مكان، يشعر بها من خلال ملابسه ومن أي شيء حوله، كان يلجأ إليها لتجنب أي صراع مع أمه أو غيرها.

لكنها تسبب له بعض المشكلات مثل نفاد النقود، لقد ضحّى بالكتب والأسطوانات وكل شيء من أجلها، كان لا يكذب ولا يحب الكذب. بعد أن أصبح يكذب على أمه وأبيه بسبب السّجائر صار يكذب على فلورانس، لا يبوح لها بالحقيقة حول كمية السّجائر التي يدخنها في اليوم، أمه تعرف ذلك ويتمنى ألا تخبر فلورانس بذلك؛ حتى لا تكتشف أكاذيبه، فهو يعرف أيضاً أن السجائر هي سبب توتّر علاقته مع أمه، ولا يريد أن تتوتر علاقته مع فلورانس مثل ما توترت مع أمه.

عند رجوعه إلى البيت أحس أخوه (بونوا) برغبة عارمة لفتح صندوق البريد مثل العادة وتوزيع الرسائل على أصحابها، كانت هناك رسالتان لأخيه (إيمي) الأولى: دعوة من المدرسة لحضور اجتماع مخصص لمناقشة موضوع حول الدخول المدرسي، والثانية: مجهولة الهوية، انزعج (أنت) عند رؤيتها، قام بفتحها، هي الرسالة نفسها المعتادة، لقد أضاف صاحبها حرفاً على الحرفين الأولين، وهذا مضمونها:

لقد...

يتبع

تفحص الورق، الورق نفسه دون أي جديد، الظرف عادي الكتابة مجهولة تاريخ البريد 1 يوليو 1996م، تم إرسال الرسالة من محطة القطار، وجد في هذه اللعبة لعبة حقيرة في عهد الإعلامية الحديثة.

هي لعبة قديمة دون شك.

قال الأب:

- هناك رسائل لـ (ايمي).

أجاب الابن.

- لا شيء، لا شيء إنها دعوة من المدرسة!

كان (أنت) خائفاً من الرسالة الثانية ومما سيتبعها.

قرر الاحتفاظ بهذه الرسالة الثانية؛ ليعرضها على فلورانس في أول مقابلة، عرضها عليها، فضحكت وطلبت منه انتظار الرسالة القادمة، شك (إيمي) أن تكون هي صاحبة الرسائل ثم تراجع وندم على شكه؛ لأنه في غير محله.

بدأت المدارس فتح أبوابها من جديد سنة 1996م دون مشكلات.

كان كل تلميذ يحكي لأصدقائه كيف قضى عطلته الصيفية، كان إيمي يستمع لأكاذيب الأغلبية، يصمت؛ لأنه لا يزال يفكر في شكه لفلورانس. هذه السنة هي آخر سنة له في المدرسة، فهو يدرس في شعبة العلوم الدقيقة التي تتميز بوفرة مادة الكيمياء.

فهو لا يحب كثيراً العلوم الدقيقة، لكنه مرتاح فيها.

لتسليتهم ذلك اليوم طلب منهم في المدرسة إيجاد شعارات ضد التّدخين، وهذا بعض ما كتبه الطلاب:

obeikandl.com

المدخّنون: خارجون على القانون.

المدخّنون: مجموعة أشرار.

المدخّنون: ابقوا بغرف الغازات السامة، ولا تطالبونا بالدخول معكم.

التّدخين: ذهاب دون عودة إلى الجحيم.

الرئتان: إسفنجتان لامتصاص القطران.

أيها المدخّن: الموت ينظر إليك بنظرة خاصة.

أيها المدخّن: يا لك من غبي!

أيها المدخّن: هل من حقك ترك اليتامى بعد موتك؟

مصانع السّجائر مصانع غبية.

الحكومة تعدّك غبياً.

السّجائر تحدث أضراراً بصحتك.

علب السّجائر: علب الأكاذيب.

الخضراوات: ماذا يطلب آكلو الأعشاب غير ذلك!.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل 9

أقسم بالله أن أحرّف الحقيقة، كل الحقيقة، هذا ما قاله (بوادر) لدى توظيفه في الشركة.

مهمته: الكذب، هذا ما قاله له أحد كبار الموظفين باللاتينية، ثم تابع.

كل الناس يكذبون، لكن هناك من يجيد الكذب ويحترفه، نحن نعتمد عليك لنشر الكذب والخداع والافتراءات، والخرافات، والحقائق الكاذبة، والتزوير والغدر والسخرية.

عملك يعتمد على الآتي:

السّرية والتعتيم والمعالجة.

بوادر هو أحد رجال الظل كما يقولون، شخص قذر، قذر لكنه لطيف، فهو أيضاً قذر بأتم المعنى، فهو لا يتهاون مع من يحاول اعتراض سبيل المدخين.

في سنة 1958م تم توظيفه لتكوين خلية تجمع بين الاستخبارات والقتل، تم تسمية هذه الخلية (مركز المعلومات) يا لها من كذبة كبيرة! كل المعلومات التي يجمعها بوادر هي خليط من أكاذيب وحقائق، الصحافي المدخّن يجد فيها مرتعاً لكتابة أكاذيبه، بعض غير المدخنين يصدقونها أيضاً، الكثير من المثقفين الذين يأتون للتزود بالمعلومات، لا يخرجون الا بعد إجراء عملية غسل لأدمغتهم؛ لأن برومورتيم يطلب منهم شراء بضاعته دون الدخول في تفاصيل لا تهمّهم.

obeikandi.com

بعد أن تم توظيفه وجد بوادر فوق مكتبه تقريراً بخصوص بحث أجري سنة 1953م، يقول هذا البحث: (إن من تم استجوابهم يعتقدون أن التّدخين يسبب سرطان الرئة). بمعنى آخر التّدخين خطير ومسبب لسرطان الرئة، في سنة 1859م أصبحت هذه المقولة لا تعني أي شيء لدى الجمهور، قام بوادر بإعداد إجابة لبرومورتيم:

أنا أؤكد لكم أنه لا يوجد أي دليل على أن التّدخين يسبب سرطان الرئة، أبحاثنا أثبتت العكس. كان بإمكانه الادعاء أن التّدخين هو وصفة طبية ينصح بها الأطباء مرضاهم للمعالجة، فالدعاية تقول هكذا.

بعد هذا كف بوادر عن التّدخين بصعوبة بالغة، لكنه توقف، فهو شجاع وليس بمقدام، كان يواجه الصحافة، هكذا:

لقد كنت أدخن ولكن لظروف معينة توقفت عن التّدخين، بعد أبحاث أجريت في بريطانيا بموافقة 40.000 طبيب ثم أبحاث أخرى أجريت سنة 1964م ثار الرأي العام وطالب بإحراق كل مصانع السّجائر، جاء دور بوادر ليملأ الساحة بأكاذيبه للتصدي إلى هذه الحملة الكاذبة التي تقول:

إن الالتهاب الرئوي المزمن ما هو إلا سرطان الرئة وسرطان الجهاز التنفسي.

هذا ما أثبته آخر الإحصائيات.

ادعى بوادر أن الإحصائيات كلها كذب ونفاق واستشهد ببعض المشاهير القدامى الذين كانوا يدخنون أمثال: سغموند فرويد، وبول برونير، ودنات كنغ كول، وبيت دايفيس، وسامي دايفس جونيور، ويان فليمنع، وفرانك سيناترا، وجورج هاريسون، وجاك بريل، وميلينا ميركوري، وليه رابان، وجيلبير بيكو، ووالت ديزناي، وبودي مادجيو.. كل هؤلاء الممثلين والفنانين والسياسين ذهبوا في مهب الريح، فبعضهم مات بسبب سكتة قلبية، وبعضهم مات بسرطان مجهول... إلخ.

ثم قال:

openkanal.com

- العديد من المدخّنين يموتون دون سرطان ولاسكتة قلبية، لكن الكثير يموتون بالالتهاب الرئوي المزمن. كان بوادر يقاتل بكل الوسائل وكل الأكاذيب لإثبات عكس ما تدعيه الدراسة البريطانية بعد أي حملة مضادة للسجائر كان يواجههم، هكذا:

- كان جدي يدخن مثل رجال الإطفاء حتى التسعين من عمره ومات بسبب الشيخوخة.

في تلك المدة كان أعداء التّدخين قليلين وغير منظمين ويفتقرون إلى المعلومات المؤكدة.

دور بوادر هو تكذيب كل ما يقال في الحملات المعادية والدفاع عن مصالح الشركة.

شيئاً فشيئاً بدأت الحكومات تهتم بالدراسة الإنجليزية، لكن الشركة طلبت من أنصارها الدفاع عن مصالحها بكل الوسائل.. لكن بالرغم من هذه المقاومة وبعد أربعين سنة بدأت شركات السّجائر تعترف أن التّدخين مضر.

بدأت تتحدث عن الخطر دون أن تذكر المتسبب. كان بوادر يتحفظ على أن هذه المعلومة لم يتم إدراجها في كتاب (جينس للأرقام القياسية).

بعد الاتهام بالسرطان جاء الاتهام الثاني: وهو العبودية للنيكوتين منذ 40 سنة كتب أحد كبار المصنِّعين للسجائر: النيكوتين هي نوع طيب من المخدرات، بعد عشر سنوات قام بالملاحظة الآتية: السّجائر بصفة عامة تحتوي على مادة النيكوتين، هذا المخدر القوي. وبعد عشر سنوات قال خليفته: يجب على شركتنا أن تعد نفسها بائع مخدرات لا بائع سجائر.

كان بوادر يقول لأصحاب الشركة: من يقول إن السّجائر تحتوي على مواد إضافية هذا معاكس للمنطق.. هذا مناهض للسجائر ولا يعتمد على مبادئ طبية أو علمية. كان يقول أيضاً هو وأحلافه:

– المدخّنون يختارون التدخين بمحض إرادتهم؛ لذا فالشركة الصانعة ليست مسؤولة عما يحدث لهم، ليس هناك أي دليل على أن النيكوتين تستعبد المدخّن كما أنه ليس هناك دليل على أن السّجائر تقتل.

نحن لا نتعامل إلا مع مدخنين اختاروا التّدخين بحرية مطلقة.. ودورنا هو تلبية طلباتهم فقط. كان بوادر يقول لبعض مخاطبيه: إنه بإمكان الشركة فرم أرواق التبغ واستخدامها وحدها لكنها تفضل إدخال بعض التحسينات لإرضائهم نفسياً وجسدياً.

كان مركز المعلومات يزود روّاده بما تريد الشركة فقط؛ لأن الحكومات لا تستطيع إثبات العكس. إذا وجد عالم شيئاً جديداً يأتي بحث جديد لتكذيبه؛ لأن كل ما يصدر عن الحكومات يعد تخلفاً ورجعية.

من أربعين عاماً بدأت شركة برومرتيم تدخل بعض المواد الإضافية على سجائرها مثل: مونيا التي تزيد من كمية النيكوتين وتزيد من شهية المدخّن.

لكن للموافقة على استخدام هذه المادة قام بوادر بالادعاء أنها تحسن من مذاق السّجائر، ولم يتجرأ أحد على تكذيبه.

لذا تم إدراج الأمونيا ضمن 600 مادة أخرى تضاف إلى أوراق التبغ، كان بوادر يفتخر بكونه المتسبب في إضافة هذه المادة، هذه طبعاً لعبة من ألاعيبه كان يعرف أن النيكوتين توجد على شكلين: غازي وغير غازي، كان يعرف أيضاً أن كل السّجائر تخضع للتحليل في مخابر من نوع ISO-3308 لا تستطيع كشف النيكوتين الغازي بل تكتشف أنواع النيكوتين الأخرى فقط.

بعد زيادة مادة النيكوتين زادت المبيعات وزاد عدد الشباب المدمنين على التّدخين، وخاصة من عمره 17 سنة، فزادت المبيعات ستة أضعاف.

فهم الجميع ارتفاع المبيعات ليس بسبب تحسن التسويق، لكن لسبب آخر غير معروف.

لما بدأ الأطباء ورجال العلم يتعرفون على الحقيقة طلب بوادر من بعض العلماء إجراء بحوث كاذبة لإثبات وجود مادة الأمونيا في أوراق التبغ بالإضافة إلى مواد معدنية أخرى، ألم نقل في البداية: إن مهمته هي الكذب، تلك هي أكاذيبه حول 4000 مادة إضافية تستخدمها مصانع السّجائر.

منذ 25 سنة واجهت شركات السّجائر مشكلة كبيرة عندما أثبتت إحدى الدراسات أن 90٪ من الدخان المنبعث من السيجارة الواحدة يضر غير المدخّنين أكثر من المدخين أنفسهم؛ لأن الدخان المنبعث إلى الخارج أخطر من الدخان الذي يبلعه المدخّن.

طلب بوادر ترويض هؤلاء الناس الذين لا يتحمّلون التّدخين، مدعين أن التّدخين له رائحة كريهة تشوه مظهر الملايين والشعر، وتدمع العين، ويحدث أضراراً بالحلق ويحدث الغثيان ويسبب الاستفراغ والدوران ويسبّب أضراراً بالأذن الداخلية.

حتى أطباء الأسنان يدعون أن 27٪ من تسوس الأسنان لدى الأطفال سببه التّدخين السلبي.

أغلب الأطباء يشيرون إلى وجود خطر على صحة الأطفال: مثل أمراض الربو والسعال، والبصاق والتصفير في الصدر، والتهاب الرئتين، بالإضافة إلى موت الجنين المفاجئ، والتهاب الصدر والحساسية وغير ذلك.

بوادر يعرف كل ذلك، كما يعرف أن 25٪ منهم قد يواجهون سرطان الرئة و25٪ قد يواجهون مشكلات في القلب، والمتبقون يواجهون نزيف المخ وغير ذلك من مشكلات مثل الربو والتهاب الرئتين وانتفاخ الرئة وغيرها.

أثبتت التجارب أن غير المدخن يتضرر بالدخان، سواء بوجود المدخّن أو بعدم وجوده؛ لأن حبيبات الدخان تلوث الفضاء وتضر الناس؛ لذا فالأفضل منع الناس من التّدخين في الأماكن العمومية، وبأسرع ما يمكن؛ لأن هذا يعد مثل عدم إغاثة شخص متضرر. مهمة بوادر هي التصدي لهذا الخبر السيئ؛ لأن منع التّدخين

obeikandl.com

بالأماكن العمومية قد يوجه ضربة قاضية للشركة، يجب ألا يعرف الناس أن التّدخين السلبي مضر؛ لأن العديد من غير المدخّنين يظنون أنهم في أمان، إذا تم منع الناس من التّدخين في الأماكن العمودية فسوف تكون الكارثة، هناك من يحاول التقليل من التدخين، وهناك من يتوقف نهائياً.

المناهضون للتدخين يشكلون ثلثي السكان، إذا تمرد الثلث المتبقي في يوم من الأيام فسوف يبكي المستثمرون على الأيام السالفة ويتذكرون بحسرة الأرباح الطائلة التي كانوا يتلقونها... هل سيسكت بروموتيم وشركاؤه على كل ما قد يحصل؟

بدأ بوادر بالتحضير لحملة كبيرة تشمل كل الفئات بمن فيهم الأطباء، وسماها حملة المليار ومئة ألف مدخن المحاصرين دون دفاع (اتفاقية جنيف لحقوق المدخنين).

خطة آدباتريس وشركائه هي تجنيد فريق من العلماء، والمحامين لمراجعة الأدب العلمي وإجراء دراسات حول التّدخين السلبي لإثبات عكس ما يقال، لهذا الغرض تم تخصيص ميزانية كبيرة خصص جزء كبير منها للدكاترة.

المشكلة الأولى التي واجهت بوادر هي إيجاد العلماء المسموعين. بعد أن قام بإضافة الأصفار إلى الشيكات استسلم بعضهم وشارك في المؤامرة؛ لذا أطلق عليهم اسم علماء الشيكات، بعد هذا قام بمهمة قذرة، حيث سرق الكثير من الأبحاث، وخاصة تلك التي على وشك النشر، كان بعض العلماء يستعدون لإلقاء مؤتمرات صحافية للإدلاء بشهاداتهم على التّدخين السلبي، لكن بوادر استطاع إقناعهم بقول العكس. خلال سنتين استطاع بوادر أن يقوم بإعداد 1150 مؤتمراً صحفياً و36 محاضرة علمية و32 مناقشة علمية و41 مناقشة سياسية و43 بحثاً علمياً وتمكن من الإعداد لـ33 بحثاً آخر، بالإضافة إلى طباعته لثلاثة كتب، هكذا جنّد كل الوسائل العلمية لخدمة الشركة.

استطاع الأطباء المجندون أن يؤكدوا صحة الدراسات الملفقة وعزل كل من يتصدى للمدخنين وتكذيب كل التقارير والموافقة على كل التقارير المزيفة.

كانت النتائج إيجابية للغاية.

في سنة 1996م تجرأ آد باتريس على أن يقول: أكل حبة بسكويت أو شرب كوب حليب أخطر من التعرض إلى دخان السّجائر.

بعد هذه الحملة المضادة التي قام بها بوادر وأتباعه تبعتها حملة تأييد كبرى، ياله من عمل جبار! حيث إن العديد من الحكومات التي كانت على وشك إصدار قوانين ضد التّدخين السلبي تراجعت، وأخرى خفّ اهتمامها بالدفاع عن غير المدخّنين، والعديد من المؤسسات لم تحرك ساكناً، حتى المدارس تراجعت، أين شيرلوك هلمز من كل هذا؟!

الكثير من المدخّنين انزعجوا من هذا التراجع، قاموا بمحاصرة بوادر، فأعد لهم الإجابة الآتية:

نظرية فيثاغورس تحتوي على 24 كلمة، ومبدأ أرشميدس يحتوي على 67، والوصايا العشرة تحتوي على 179. وإعلان استقلال أمريكا يحتوي على 300. أما القانون الأوربي، فقد حدد فرصة التدخين في 24942 كلمة.

تعوّد بوادر على المحاكم. كثيراً ما يعرض قضايا الشركة على المحاكم، فالمال متوافر والوسائل أيضاً.

كان غالباً ما يكسب هذه القضايا وقليلاً ما يخسر بعضها.

عندما يخسر، فإنه يعد ذلك عاراً وخاصة عندما يخسر قضية ضد جمعية قامت بتسريب معلومات صحيحة بخصوص التّدخين السلبي.

يقوم بوادر كل أسبوع بمراجعة كل القضايا الجارية الخاصة بالشركة؛ لأن الخطر موجود في كل مكان، ولابد من مواجهته، لقد قررت مصانع الأدوية مرة بيع مادة النيكوتين إلى المدخّنين مثلها مثل الأدوية؛ لتزيد من أرباحها، لكن شركات التبغ تصدت لذلك؛ لأنها تعدّ هذا المجال هو مجالها الخاص، فقام جوركا بتأديب هؤلاء الدخلاء، لقد كلف بوادر بإجراء دراسة توعية لإطلاع الشعب على الخطر المحدق

obeikandl.com

به، إذ يجب على الشعب معرفة ما يأتي: إن النيكوتين الجديد يسبب السكتة القلبية كما يسبب الإدمان، أما النيكوتين المستعمل في السّجائر فهو لذيذ، من خلال هذه الدراسة توصل إلى النتائج الآتية:

النيكوتين الجديد يسبب الاستفراغ، والاضطرابات والغثيان، والتعرّق الزائد، والمغص المعوي، وشحوبة اللون، والرعشة، واضطراب الأفكار والتشنّج.

كان على وشك أن يسرب المعلومات الخاصة بالتّدخين السلبي نفسها، لكنه تراجع في آخر لحظة.

لقد نشر المعلومات المذكورة أعلاه بالجرائد وخاصة الجرائد الواسعة الانتشار.

انتشرت الفوضى خلال سنوات.

مهما اشتدت المعركة، فالرد على الأعداء لابد أن يكون كالآتي:

إخفاء الحقيقة، والتستر على الخطر وأفكاره بصفة خاصة، والتمسك بالعكس حتى تخمد القضية أو تُنسى، لقد حدث حريق في أحد الملاهي بسبب إهمال أحد المدخّنين الذي ترك سيجارة فوق كرسي من مادة (البوليستر)، فقام بوادر بالادعاء أمام الجميع أن المتسبب ليس السيجارة، بل مادة (البوليستر)، فتم منع هذه المادة في المقاهي والملاهي، هذا هو بوادر يحوِّل القاتل إلى بريء، العديد من الحرائق يسببها التّدخين، لكن بوادر ينسبها إلى غيره برشوة السلطات المعنية بشيك أو بهدية قيمة؛ فالكل في خدمته وخاصة رجال المطافي أو الخدمة المدنية كما يسمونهم في بعض الدول، في إحدى المرات وُجد شخص متفحّم؛ لأنه كان يدخن في سريره فداهمه النوم، فاحترقت الغرفة وحصل ما حصل، هنا أيضاً ليست السيجارة هي المتسبب بل إهمال المدخّن، هذا هو بوادر، العديد من الحرائق تحصل بالغابات بسبب السجائر، والعديد من الناس يموتون بسببها في كل أنحاء العالم، اسألوا بوادر من المسؤول عن موت كل هؤلاء؟

كل هذا أجبر العديد من شركات التأمين على رفع سعر التأمين بسبب التّدخين بصفة خاصة؛ لأن قيمة التأمين تشمل المستشفى والمرض والموت، والغريب أن

الشركات لا تعترف بالحرائق التي تحدث في السيارات بسبب التّدخين، أو بتلك التي تحصل بالمصانع بسبب التّدخين أيضاً، أو حتى تلك التي تحصل بالمكاتب. مهمة بوادر تشمل الدفاع عن مصالح الشركة والدفاع عن حرية المدخّن، بروموثيم يدعي أنه يدافع عن الحرية والديمقراطية في العالم، لكنه في الحقيقة لا يدافع إلا عن حرية التّدخين فقط.

فهو يرى أن التّدخين لا يخص إلا البالغين المسؤولين عن أنفسهم فقط، أما تدخين الأطفال فهو تصرف طائش ومؤسف لكنه تافه أيضاً.

عندما يقوم أحد رجال الإعلام بسؤاله عن التّدخين، فالإجابة جاهزة: التّدخين هو مشكلة الأثرياء، مع العلم أنه يعرف أن 70٪ من المدخّنين من الفقراء، ويعرف أيضاً أن 70٪ من أرباح الشركة تأتي من الدول الفقيرة.

زيادة الأسعار لا يشعر بها الأغنياء، بل الفقراء هم الذين يتحملونها، والمهربون هم الذين يستفيدون منها، فهو يعرف أيضاً كيف يخفي هذه الحقائق وخاصة تضرر الفقراء من التّدخين؛ لأن ثمن العلبة لا يؤثر في الطبقات العليا، بل يؤثر في الفقراء والعاطلين عن العمل. عند زيادة الأسعار لا مجال أمام الفقراء سوى التخلص من السّجائر. كثيراً ما يصرّح بوادر لرجال الإعلام: لا تحاول أن تتوقف؛ لأنك سوف تتراجع وترجع إلى التّدخين في أول فرصة، لقد أثبتت الدراسات أن كل المدخّنين يرجعون إلى التّدخين بعد شهر من الكف عنه، فالمبدأ يقول: من دخن سوف يستمر في التّدخين.

كل من يسأل بوادر عن خطورة السّجائر، كان بوادر يعرف كيف يجيب؛ لأنه يحب التكلم في موضوع الأمن، فقد قام بإجراء دراسة حول الإحساس بالأمن، وفي ذلك يقول: الفلتر مثلاً مصنوع من حبوب وجزئيات من الفحم تعطي السيجارة طعماً طيباً وتقلل من إيذاء المدخّن، ولكي يعطي دراسته أكثر مصداقية باختياره من يقوم بها من بين علماء مدخنين يتم انتقاؤهم بعناية. يرجع إلى الفلتر، ويقول: بهذا الفلتر

سوف تمكنك السيجارة من رفض المواد الأخرى غير المواد الطبيعية، يذهب إلى أكثر من ذلك ويدعي أن الفلتر الجديد هو النوع الذي أوصى به الأطباء.

بعد سنوات وحول الموضوع نفسه تكلم عن مادة غير مؤذية سوف يتم إدخالها ضمن مكونات الفلتر، وهي مادة الأميانتيت، هي من المواد المؤذية والممنوعة دولياً، بالرغم من أن الكثير من العمال الذين يشرفون على صناعتها يموتون يومياً، فهويدعي أن سجائرهم طيبة بالفلتر أو دون فلتر، بعد إضافة مادة الأمونيا أصبح المدخّن مطالباً بامتصاص الدخان بقوة؛ لأن إضافة هذه المادة تمت لعرقلة عمل مكائن الفحص التي تخضع لها السّجائر لتحديد نسبة النيكوتين، جاءت هذه الإضافة؛ لتضاعف من نسبة النيكوتين من 2 إلى 6 مرات.

بروموتيم يعرف أن الفلاتر الجديدة مؤذية وخطيرة، ويعرف منذ أربعين سنة أنها مؤذية، لكنه يعرف أيضاً كيف كان يتستر على ذلك طوال هذه المدة. إنه يعرف أيضاً أن فاعلية هذه الفلاتر محدودة جداً، لكن بوادر يسهر على إخفاء هذه الحقيقة وعدم تسريبها إلى المستهلك.

لكي تحكم الشركة قبضتها على المستهلك والأرباح ركّزت على المستهلكين المفضلين ألا وهم الشباب والنساء، وجاءت النتائج لتؤكد حسن الاختيار، بعض النساء الحوامل مثلاً قررن إيقاف التّدخين في أثناء الحمل، هذا لا يعجب بوادر طبعاً، لكنه يعرف أن العديد منهن يرجعن إلى التّدخين بعد الولادة، ويعرف أيضاً أن بعضهن يتوقفن نهائياً، الكثير من الأطباء غير المدخنين ينصحون الحوامل بالتوقف عن التّدخين في أثناء الحمل وبعده؛ لأن التّدخين يسبب الإجهاض والولادة قبل الوقت، وتخفيض وزن الجنين بـ 400 غرام، بالإضافة إلى الأضرار التي تحدث بعد الولادة، كالتصفير في الصدر، والتخلف العقلي والنقص في التركيز، والموت المفاجئ للمولود... إلخ، لكن الدراسات التي يتولاها بوادر تحاول إقناع زبائنه بالعكس بواسطة أكاذيب كهذه: التوقف عن التّدخين يسبب سرطان عنق الرحم، بوادر يطلع على الإحصائيات الخاصة بالحوامل للإلمام بهذا الموضوع، ومن خلال هذه

الإحصائيات عرف أن 20٪ منهن لا تصدقن نصائح الأطباء، ولكنهن يصدقن ما ينصح به أطباء آخرون بالاستمرار في التّدخين بموجب أربع أو خمس سجائر في اليوم، شركات السّجائر أيضاً تتابع الموضوع باهتمام وتعرف أنه ليس هناك تدخين دون خطر، وخاصة لدى النساء المدخّنات بالذات.

السّجائر تقتل سنوياً 700.000 مدخن حول العالم بمعدل 1917 مدخناً يومياً، يقول بوادر معلّلاً: لقد خلّصنا حكوماتهم من الكثير من المتقاعدين، ومن الكثير من الأدوية أيضاً، في الحقيقة مصانع السّجائر تتسبب في قتل 13000 مدخن يومياً، في كل ست ثوان يموت شخص، تساءل بوادر في يوم من الأيام: ماذا سيحدث لو تحطمت طائرة بوينج 747 أو طائرة إيرباص أ 380 يومياً؟

كل شيء له نهاية، ففي 14 أبريل سنة 1994م اجتمع أصحاب شركات التبغ مع لجنة برلمانية لمناقشة موضوع المواد المضافة إلى السّجائر، فأجمع كل المصنِّعين على أن النيكوتين ليست من المواد المضافة، يا لها من كذبة كبيرة! قام أحد القضاة بمطالبة الشركات المصنِّعة للسجائر بعرض ملفات المواد المضافة على اللجنة فوصفوه بالمجنون، وعرف هذا بـ (توباغو غايت) بعد هذه الفضيحة الكبرى استسلم بوادر وطالب بالتقاعد.

obeikandl.com

الفصل 10

انتهت الثلاثة أشهر الأولى من الدراسة سنة 1996 بسلام، كان (أنت) يبذل مجهوداً كبيراً لإرضاء فلورانس سواء أحضرت أم غابت، فكانت نتائجه مشرفة.

في العشرين من ديسمبر تفاجأ برسالة جديدة، استلمها (أنت) بشيء من الخوف، هل هي الرسالة الموعودة؟ لاحظ الكتابة على الظرف فعرفها، فتحها، فوجد ورقة بيضاء كتب عليها ما يأتي بحروف كبيرة منتقاة من جريدة ما:

لقد تم ...

يتبع

ذهب بعد ذلك إلى غرفته وبحث عن الرسالة الأولى وبعد أن وجدها توجه إلى المكتبة، بعد أن دخن سيجارة وهدأ بدأ يفكر في بقية الرسالة ومغزاها دون جدوى، فهو لا يحب هذا الأسلوب وهذه العادة السيئة. قرّر بعد ذلك تسليم الرسالتين إلى والديه.

قالت الأم:

- سوف أخبر الشرطة فوراً، واتجهت إلى سماعة الهاتف.

قال الأب:

- وماذا ستفعل الشرطة، إيمي عمره 17 سنة، لابد أنها مزحة من أحد أصدقائه،

obeikandl.com

ليس هناك أي خوف، أهناك تهديد؟ أهناك مطالبة بشيء؟ لا، فهي مجرد لعبة.

ردت الأم:

- من يقول لك: إنها لعبة؟ ومن يقول لك إنها لعبة من شاب عمره 17 سنة؟

- لا شيء، لا شيء! أنا أعتقد أنها لعبة من أحد الأولاد الطائشين، لنشرب كأساً على صحة هذا الولد الطائش ولا نكترث بما سوف يحصل ولا نقع في هذه اللعبة القذرة.

بعد ذلك لجأ الأب والابن إلى المكتبة، السّجائر، لم تحل المشكلة، وبقي اللغز كما هو، فقرر (أنت) ألا يزعج فلوراس بهذه الرسالة السخيفة، وتأسف على أنه أخبرها بالرسالة الأولى.

لقد وجد في كلام أبيه ما يطمئنه ويريحه.

تم ترقية والده وتنصيبه في وظيفته الجديدة في حفل كبير حظره كل أفراد العائلة، ارتفعت معنوياته وزاد افتخاره، الشركة التي يعمل فيها تبيع مواد أولية ومواد ذات مواصفات خاصة.

بعد الترقية أصبح مسؤولاً عن مجموعة من الموظفين يرقِّي من يريد ويوجه من يريد، قبل هذه الترقية كانت مسؤوليته لا تتجاوز الزبائن، أما الآن فله مجال أوسع في ميدان العمل، منذ زمن كانت مسؤوليته لا تتجاوز النتائج الخاصة بالمبيعات وتبقى هذه المسؤولية سارية المفعول، بعد تحميله المسؤولية الجديدة أصبح يرى نفسه مهاباً من الزبائن والزملاء معاً، ارتفعت معنوياته؛ لأنه كان يفكر أن هذه الترقية سوف تعود بالخير على عائلته، وخاصة على ولده البكر الذي سوف يلتحق قريباً بالجامعة، وبعد التخرج يلتحق بسوق العمل.

كانت سنة 1997 آخر سنة لتخرج (أنت) من التعليم الثانوي، حتى الآن لم يبدِ رغبته لا في التعليم ولا في العمل، فكان يميل أحياناً إلى العلوم وهذا ما جعل أباه

يحلم أن يراه باحثاً علمياً في يوم من الأيام، وأما الولد فكان يحلم أن يكون بهلواناً لكن أبويه طلبا منه أن يفكر بجد في مستقبله، نظراً لتردده في اتخاذ القرار، طلبا منه إجراء بعض الاختبارات لاكتشاف مواهبه وطموحاته، قبل دون تردد، شيئاً فشيئاً أصبح يختفي وراء دخان سجائره تاركاً للآخرين مسؤولية الاختيار مكانه، لقد وجد في اقتراحات والديه الحل الأمثل لمشكلة لا يوليها أي اهتمام، لقد قرر من قبل إجراء اختبار يؤهل للتدخين من عدمه، اقتنع الأب بموافقة الابن لتحديد مصيره، فكان يرى في ابنه الكفاءة الكافية لتسيير مجموعة من الرجال باقتدار وفعالية.

في أواخر أبريل قام الأب وابنه بزيارة طبيبة نفسية متخصصة في التوجيه المدرسي، بعد أربع ساعات تم اتخاذ القرار المناسب ودون رجعة، من خمسة عشر معياراً تم الإجابة على أربعة عشر.

والنتيجة كانت هوايته المفضلة بائعاً، لم يقتنع الوالد بذلك؛ لأن هذه المهنة لا تتوافق وطموحاته، لكن بعد مناقشة جادة مع الدكتورة النفسية اقتنع وهدأ، وعند مغادرته العيادة خاطب ولده قائلاً:

حاول التخلص من التّدخين قبل الإقبال على الوظيفة؛ لأن العديد من أرباب العمل يرفضون من يدخن على الفور، هذه ليست العادة وهي غير مقبولة طبعاً، لكن هذا هو الوضع الراهن، ليس لديك خيار آخر، قبل إعلان هذا النبأ إلى الأم، ذهب الأب والابن إلى المقهى لاحتساء ما طاب من المشروبات والتشاور حول ما سيقولانه للأم، كان المقهى من جيل الخمسينيات فيه مكان خصص للمدخنين، لجأ الاثنان إلى زاوية من هذا المكان وأخذ كل منهما يدخن بشراهة، في الجانب الآخر المخصص لغير المدخّنين كتب على لوحة: (دخن أو لا تدخن، لكن حافظ على الأدب). وهذا هو رأي الابن طبعاً، بينما هما يتبادلان الحديث ظهرت دعاية متحركة لفتت انتباه الوالد كتب عليها: (حياة دون تدخين متى ستبدأ؟!).

نظر كل واحد إلى الآخر وابتسم كل منهما؛ لأنهما لم يتوقعا أن يفاجأا بهذه

الدعاية الموجهة لهما بالذات، فضحكا من جديد وضحك كل من حولهما، وخاصة غير المدخّنين منهم.

وفجأة فاجأهما مرسَل ثان يقول:

(انصرفوا للتلويث في مكان آخر).

المكان المخصص لغير المدخّن بالمطعم هو مثل مسبح فيه مكان مخصص للتبول ومسبح ممنوع التبول.

- ياللعار! كيف تم تشجيع قاصر على التّدخين؟

- هل التّدخين مضر إلى درجة أنه يشبه تجرع سم الفئران.

- وإذا كنت أرغب ذلك فهذا يخصني أليس كذلك؟ هذا ما قاله أحد المدخّنين وهو متمسك بما تبقى من سيجارة لاصقة في شفتيه. نهض (أنت) وقال: أيها السادة، هل قرأتم ما كتب هنا: (حافظوا على الأدب من فضلكم، وإلا انصرفوا).

- طبعاً، من يريد أن يتسمم بمحض إرادته فهذا من حقه، هذا انتحار قال أحد الجالسين.

- بصراحة يمكنك إيجاد طريقة أفضل للانتحار سريعة وفاعلة، قال آخر.

ثم قال الأب: إنكم تستحقون الشّفقة؛ لأنكم تجهلون لذة التدخين.

خرج الأب والابن بعد أن سكب الأب ما تبقى من فضلات التّدخين على أحد الكراسي، وبعد أن تجرع ما لذ وطاب من سخرية الناس.

شيئاً فشيئاً اقتنع الأب والابن أن سلامتهما كمدخنين معرضة للخطر في الأماكن العامة، هذه إهانة للمواطنين المسهمين في تنمية المصالح الخيرية التي تشرف عليها الدولة.

في أثناء عودتهما إلى البيت لم ينفكا عن الحديث في الموضوع نفسه، لأن هذه أول مرة يتحدثان بكل صراحة وبكل عمق في موضوع شائك مثل هذا.

obeikandl.com

– ثم قال الأب: لقد بدأت التّدخين مثلك لأقلد الكبار، وأقلد أبي وبعض الممثلين الأغبياء وأمثالهم من المطربين.. الذين وافتهم المنية بسبب شراهتهم في التّدخين.

عندما نمتهن مهنة بائع سجائر لا يجبرنا أصحاب المصانع على التّدخين، لكن ظروف العمل تجبرنا على ذلك، الزبائن لا يقنعهم إلا مدخن، ومن خلال الواقع طبعاً، فأحياناً نضطر إلى تدخين سيجارة لامتصاص الخوف الذي ينتابنا قبل مقابلة زبون صعب المنال، وأحياناً نتناول سيجارة لمحو آثار الأرق الشديد وتحاشي النوم الذي يداهمنا من جراء التعب والإرهاق، أصبحت السيجارة من الضروريات، غيابها مميت ومسبب للقلق والاضطراب، فاليوم وبعد هذه المدة الطويلة من التّدخين أشعر أني سجين في سجن اسمه سجائر، إني أتمنى أن أتوقف يوماً وأتمنى أكثر فأكثر لو تتوقف أنت عن التّدخين، لقد حاولت كثيراً التوقف وفي كل مرة أفشل، لقد ساندني زملائي في هذه التجربة الصعبة لكن دون جدوى، في كل مرة نتوقف ثم نعود إلى هذه العادة السيئة، فاليوم أصبح التّدخين لا يكتسي أي متعة مثل ما كنا نتوقع وعكس ما قلته لهؤلاء الأوباش بالمقهى قبل قليل، هي فرصتك أنت؛ لأنك في بداية مشوارك مع التّدخين فيمكنك التوقف، أما أنا فمن الصعب أن أتوقف، هل لاحظت في أثناء العطلة الأخيرة كم كنت متعباً؟ فأي مجهود كان له وقع الجبل عليّ، اثنتان وأربعون سنة من العمر حطمتها السّجائر. في عنفوان الرجولة أصبحت ألهث كشيخ منتهٍ غير قادر على المشي مثل من يبادلني العمر نفسه، من حين لآخر أشعر بآلام في الصدر، أما صوتي فقد اختفى من كثرة السّعال، ناهيك عن الأسنان التي اصفرت ثم اسودت من كثرة التّدخين، الأصابع أيضاً أخذت نصيبها من هذا اللون الحزين، أما القدمان مثلها مثل اليدين فالبودرة لا تغادرها ليلاً ولا نهاراً، ولا تنسى لون وجهي الأغبر والرائحة المنبعثة من ملابسي كم هي مقرفة. اسأل أمك عن ذلك فهي تخفيها داخل كيانها، انظر إلى هذه التجاعيد التي حرثت جبيني، فأمك تصفني بالعجوز بسبب ذلك، تحملت ذلك منذ زمن بعيد؛ ظناً أنها عادة من عاداتها السيئة، لكن الواقع غير ذلك، فالفخ الذي وقعت فيه هو السبب، لقد أصبحت عبداً

للسيجارة، ومن خلالك اليوم اقتنعت بمضرة التّدخين بعد أن فات الأوان، إني أعترف بذلك أمامك. بالرغم من أن عنادي يجعلني اتباهى بالتّدخين أمام الآخرين، لست فخوراً بنفسي كما ترى.

تأثر الابن كثيراً بما سمعه وتأثر أكثر من صدق أبيه وبادر أباه، قائلاً:

– لي خطة سوف تمكنني من التوقف، سوف أنفذ هذه الخطة ابتداء من العطلة القادمة، وبعد ثلاثة أشهر تصبح السّجائر في خبر كان، وصل الاثنان إلى البيت، فكان من الأفضل التوقف عن الكلام في هذا الموضوع. حتى الدعاية التي عرضت أمام أعينهم بالمقهى، والتي تقول: (يوم بلا تدخين من أجل عالم دون تدخين)، لم يكن لها أي تأثير فيهما من أجل الكف عن هذه العادة السيئة.

اقتنع الوالدان بما حددته الدكتورة النفسية بخصوص دراسة ابنهما، وكان ذلك على مضض، وسجل الابن أخيراً في كلية العلوم.

obeikandl.com